

أساليب الجملة في تران أئمة أهل البيت [ع] (دراسة نقدية وبلاغية)

محمد حسن معصومي*

الملخص

أساليب الجملة أو ما يُطلق عليها في البلاغة العربية التقليدية بالمعاني التواني، من الفنون التي لا تستغني عنها النصوص الأدبية، كونها تعمق المعنى في المتلقي و تزيد النص روعة و أبهة، و في هذا السياق يادر أئمة أهل البيت (ع) إلى استخدام و توظيف هذه الأساليب للغرض الديني و نشر ثقافة السماء، إذ راحوا يتفنون فيها، حتى أصبح كضرب بتاجاتهم المثل في الروعة و الطلاوة في هذا الحقل، و ترمي هذه المحاولة إلى كشف جانب ضئيل من هذه الأساليب المستخدمة في رواياتهم و ذلك للتأكيد على هذه الحقيقة أن هؤلاء الراسخين في العلم هم القدوة في العمل الأدبي الرزافي. سواة في المجال الذي عالجتاه في هذه المقالة أم في سواها بين النصوص.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب، الاتجاج الأدبي، التهكم، تعميق الدلالة.

القدمة

أساليب الجملة هي ما يُصطلح عليها في البلاغة العربية القديمة و تحديدأ في علم المعاني، «المعاني التواني» و يعبر عنها في البلاغة الحديثة «الانتهالك أو انحراف الجملة

* استاذ مساعد، جامعة آزاد الإسلامية، قم (عضو هيئة علمي وانشگاه آزاد قم)

عن نسقها المثالي الذي يمثل الطاقات الايحائية في الأسلوب» و توظف هذه الأساليب في النص الأدبي بكثافة نظراً لايحاءاتها الفنية، و من هنا يتم استخدام هذه الأساليب في الأدب الديني عامة و الأدب الاسلامي حيث تتمثل في تعميق الدلالات الروحية على المستويين العقائدي و السلوكي و يُعَيَّرُ به الأدب الملتزم عن الأدب غير الملتزم أو الملتزم بعقائد غير دينية، و في هذا السياق يوظف القرآن و العترة الطاهرة باعتبارها عدل القرآن اساليب الجملة بطريقة بلاغية معينة، حيث يُحشر فيها الشكل و المضمون حشراً في بوتقة واحدة فتزول بينهما ثنائية المعنى و المبنى لتتحدا في الواقع العيني المتمثل في النص و الواقع الذهني الحاضر في وجدان المتلقي. ولكي نثبت ما نذهب اليه من ادعاء نأتي في هذه المقالة بنماذج من هذه الأساليب التي يتم استثمارها في الأدب الاسلامي الملتزم و بوجه خاص في الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت (ع) اذ لهم باعٌ طويلٌ في هذا الميدان حيث يستخدمون اساليب الجملة في اشكالها المتنوعة ببراعة نادرة لاقتناع المخاطب بالفكرة و ارضائه فنياً و جمالياً و ها هي بعض تلك الأساليب من خلال روايات الأئمة المعصومين عليهم السلام.

الأسلوب العلمي المتأدب

يتميز هذا الأسلوب، بكونه علمياً و صفيماً و أدبياً في ذات الوقت، فقول الامام علي بن أبي طالب (ع) في نهج البلاغة: «الغيبَةُ جُهدُ العاجزِ» (باب الحكم، الحكمة ٤٦١). يمكن اعتباره اسلوباً علمياً متأدباً لأنه يكشف عن واقع علمي يتعلق بنفسية الانسان، فالغيبية مرض نفسي يسببه عجز المغتاب و ضعفه في المواجهة المباشرة مع من يغتابه، و العجز و الضعف منقصتان، ثم أنه أدبي لأنه يستنكر ضمناً ظاهرة الاغتياب بصفتها حالة مرضية تُشيع في المجتمع روح التشاؤم و الكراهية، و ثمة ائتلاف في هذا الأسلوب بين الشكل و المضمون؛ لأن المادة علمية أخلاقية و كذلك الشكل فهو أيضاً أدبي علمي.

ولهذا الأسلوب ظهور آخر يتمثل في اصفاء اللون الموسيقي على المضمون العقائدي؛

و نماذج ذلك كثيرة في النصوص الكلامية المنقولة عن الأئمة (ع) نحو قول الامام الرضا حينما طُلب منه أن يصف الرب - سبحانه و تعالى - تقول الرواية: «قام رجل إلى الرضا (ع) و قال له: يا ابن رسول الله! صف لنا ربك! فإن من قبلنا قد اختلفوا علينا.

فقال الرضا (ع): أنه من يصف ربه بالقياس لا يزال الدهر في الالتباس، مائلاً عن المناهج، ضاعياً في الأعرجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير جميل، أعرفه بما عرّف به نفسه من غير روية و أصله بما وصف به نفسه من غير صورة لا يدرك بالحواس، و لا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه و متدان في بعده لا ينظر، لا يمثل بخلقته، و لا يجوز في قضيته، الخلق إلى ما علم متقادون، و على ما سطر في المكتون من كتابه ماضون، لا يعلمون خلاف ما علم منهم و لا غيره يريدون، فهو قريب غير ملتقى، و بعيد غير متفصّل، يُحقق و لا يُمتل، و يُوحّد و لا يُعقّد، يُعرف بالآيات و يُثبت بالعلامات، فلا اله غيره الكبير المتعال» (المجلس، ١٤٠٣، ج ٣، ص ١٣).

فالنغمة السائدة على أجواء النص التي تتمثل في سجع و جناس و توازن هي من مظاهر الموسيقى الخارجية؛ كما أن هناك تناغماً بين اللفظ و المعنى في كثير من العبارات، و هذا التناغم هو ما يصطلح عليه البلاغيون بالتلاف اللفظ مع المعنى و يعتبر عنه المعاصرون «الموسيقى الداخلية». هذا فيما يتعلق بالشكل البلاغي، أما المضمون فهو عقائدي كلامي يعالجه الامام (ع) معالجة منطقية عقلية، حيث يجمع بين الأدبية و العلمية: الأدبية في الشكل الخارجي و العلمية في مضمونه و محتواه.

أسلوب الخبر القصص

قد أبدع الأئمة (ع) في باب الخبر القصص الكثير، نذكر منها هذه الرواية: عن جعفر بن محمد، عن أبيه - صلوات الله عليهم - قال: «قال رسول الله (ص) إن السخاء شجرة من

أشجار الجنة، لها أغصان متدلّية في الدنيا، فمن كان سخيّاً، تعلّق بغُصنٍ من أغصانها، فساقه ذلك الغصن الى الجنة. والبخل شجرة من أشجار النار لها أغصان متدلّية في الدنيا، فمن كان بخيلاً، تعلّق بغصن من أغصانها، فساقه ذلك الغصن الى النار». (نفس المصدر، ج ١٤٨، ص ٣٥٢)

إن فكرة النص هي تجميل السخاء و تقبيح البخل، و بالتالي الترغيب في الأوّل و التحذير عن الثاني عبر خبير قصصي جرى على لسان المعصوم (ع)، حيث صوّر السخاء شجرة طيبة و البخل شجرة خبيثة، ليثير الدهشة و العجب في السامع لعلّه يدرك مغزى هذين المفهومين.

أسلوب الحوار القصصي

يُعدّ الحوار من أهم الأساليب الفنية في التعبير، لذلك يحتل مساحة ضخمة في نصوص القرآن الكريم، خاصة في النصوص القصصية، و هكذا بين أيدينا كثيرٌ من الروايات تمّ فيها استخدام حوارات قصصية لأغراض أخلاقية؛ منها الروايتان التاليتان: يقول الامام (ع): «يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد أفتنت في حسنها، فتقول: يا رب! حسنت خلقي حتى لقيت ما لقيت، فيجاء بمريم (ع) فيقال: أنت أحسن أو هذه؟ حسناها، فلم تُفتن. و يجاء بالرجل الحسن الذي قد افتتن في حسنه فيقول: يا رب! أحسنت خلقي حتى لقيت من النساء ما لقيت، فيجاء بيوسف (ع) فيقال: أنت أحسن أو هذا؟ قد حسناه، فلم يُفتن. و يجاء بصاحب البلاء الذي قد أصابته الفتنة في بلائه فيقول: يا رب! سددت عليّ البلاء حتى افتنت، فيجاء بأيوب (ع) فيقال: أبلبتك أشدّ أو بلية هذا؟ فقد ابتلي فلم يُفتن». (الكليني، ١٤١٣ (أ)، ج ١، ص ٢٨٨)

فقد أدار الامام هنا حواراً قصصياً واقعياً مستقبلياً ذا مضمون أخلاقي يوجّه المخاطب توجيهاً تربوياً.

و في رواية أخرى: «يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله و يدفع اليه كتابه فلا

يرى حسناته فيقول: الهي ليس هذا كتابي! فأنى لا أرى فيه طاعتى؟! فيقال له: إن ريتك لا يضل ولا ينسى، ذهب عمالك باغتياب الناس، ثم يؤتى بأخر و يدفع إليه كتابه، فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: الهي ما هذا كتابي! فأنى ما عملت هذه الطاعات!

فيقال: لأن فلاناً اغتابك فدفعت حسناته إليك. (المجلس، ١٢٠٣، ج ٧٥، ص ٢٤١) و قد تمّ هنا التحذير من الاغتياب باعتبارها خلقاً منتهياً عنه غير أسلوب الحوار القصصي باعتبارها أسلوباً له طلاوته و بالتالي تأثيره الخاص في وجدان المخاطب.

أسلوب الحوار الرمزي

قد يستعمل الامام (ع) الحوار الرمزي وسيلة لتعميق الدلالة فقد يريد التذكير بالدور الخطير لظاهرة معينة أو التحذير من سلوك معين كما نلاحظ في الروايتين التاليتين: «إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه فيقول: كيف أصبحتم، فيقولون بخير إن تركنا، و يقولون: الله الله قينا! و يشاهدونه و يقولون: إنما نشاب بك و نعاقب بك». (الكليتي، ١٤١٣، ب، ج ٢، ص ١١٥)

و عن علي (ع) قال: «هبط جبرئيل على آدم، فقال يا آدم أتي أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين، فقال له آدم: يا جبرئيل و ما الثلاث؟ فقال: العقل و الحياء و الدين، فقال آدم: فاني اخترت العقل فقال جبرئيل للحياء و الدين النصر فا و دعاء، فقال يا جبرئيل أنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال فتشأنكما و عرج». (الحسن العاملي، ١٤١٢، ج ١١، ص ١٦٠)

من الواضح أن الرمز هنا يلعب دوراً مهماً في تعميق الدلالة المقصودة.

أسلوب الحوار غير المباشر

قد يفترض الامام (ع) في واقعه مخاطباً ثم يوجه إليه الخطاب و ذلك كقول أمير

المؤمنين علي (ع) في نهج البلاغة، حينما يخاطب الدنيا قائلاً: «...أَلَيْكَ عَنِّي^١ يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكَ عَلَي غَارِيكِ^٢ قَدْ أُنْسَلْتُ مِنْ مَخَالِيكِ^٣، وَأَفَلْتُ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَأَجْتَبَيْتُ الذُّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ^٤، أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَّرْتِهِمْ بِمَدَاعِيكِ! أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتَهُمْ بِرَخَائِرِكِ! فَهِيَ هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَ مَضَامِينُ اللُّحُودِ^٥. وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ شَخْصاً مَرْتَباً، وَقَالاً حَسِياً، لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ غَرَّرْتِهِمْ بِالْأَمَانِي، وَأُمَمٍ أَلْفَيْتَهُمْ فِي الْمَهَاوِي، وَ مُلُوكٍ أَسْلَمْتَهُمْ إِلَى التَّلْفِ، وَأَوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَ الْبِلَاءِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ^٦ وَلَا صَدَرَ^٧...» (نهج البلاغة، باب الرسائل، رسالة ٤٥)

يقول الأستاذ محمود البستاني في تحليل له لهذه الخطبة: «...فالدنيا تمثل في واقعها رمزاً و مؤشراً للجانب الشهوي من الانسان و لذلك يمكن استبدالها بالذات الشهوانية، و في الحالتين يظل هذا النمط من الحوار غير مباشر، لأنه لا يخاطب النفس مباشرة بل عن وراء قناع فني». (البستاني، لا. تا: ٢٤٢)

أسلوب الافتراض

قد لا يدرك المتلقي أهمية الفكرة التي يفترض أن يستوعبها، بينما يحرص مرسل الفكرة على تعميقها و ترسيخ دلالتها في نفس هذا المتلقي، لذلك يستفنن في اختيار الأساليب للوصول الى الغاية التي يرمي اليها مع الأخذ بعين الاعتبار التركيب النفسي للمخاطبين، و على هذا الأساس جاء اختيار هذا الأسلوب في القرآن و في أدب أئمة أهل البيت (ع): قال رسول الله (ص): «لَوْ بَغِيَ جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَدُكِ الْبَاغِي مِنْهُمَا». (المجلسي، ١٤٠٣، ج ٣، ص ٤٤٦) لاشك أن هذا الافتراض في قول رسول الله (ص) جاء ليؤكد على مدى قبح الاعتداء و تأثيره السيء على العلاقات الاجتماعية فجاء البيان من خلال

١. اذهبي عني.

٢. تمثيل لتسريحها تذهب حيث شاءت.

٣. انسل من مخالبها: لم يعلق به شيء من شهواتها.

٤. مساقتك و مزالتك.

٥. أي الذين تضمّنهم القبور.

٦. وورد الماء

٧. الصدور عن الماء بعد الشرب.

أسلوب الافتراض أوقع في النفس.

وقال علي (ع) «لو ضربت خيشوم^١ المؤمن بسيفي هذا على أن يفضني ما أفضني ولو صبيت^٢ الذين بهجاته^٣ على المنافق على أن يحبني ما أحبني» (نهج البلاغة، باب الحكيم بالحكمة ٢٥) إن الحب الشديد الذي يكتنه المؤمن إزاء إمامه و العقد الأعسى الكامن في نفس المنافق نحوه جثلاً لإمام يني مثل هذا الافتراض الرائع الذي إن دل على شيء أنما يدل على عظمة مكانة الإمام و شرف منزلته و موقف كل من الصالحين و الطالحين منه. و من أروع الافتراضات و أجملها ما دعا بها الإمام السجاد (ع) في فقرة من دعاء يستقبل فيه من ذنوبه و يتضرع في طلب العفو عن عيوبه حيث يناجي ربه قائلاً: «... يا الهي لو بكيت^٤ إليك حتى تسقط أشفاؤ^٥ قبي وأنتحيث^٦ حتى ينقطع صوتي و قمت^٧ لك حتى تنتشر^٨ قدمي و ركعت^٩ لك حتى ينخلع عسلي و سجدت^{١٠} لك حتى تنقل^{١١} حدقتاي و أكلت تراب الأرض طول عمري و شربت ماء الزمان آخر ذهري و ذكرتك في خلال ذلك حتى يكل^{١٢} لساني ثم لم أرفع طرفي إلى أفاق السماء استحياءً منك ما استوجب^{١٣} بذلك محو^{١٤} سني من سنياتي...» (الصحيفة السجادية، دعاء ١٦)

بعيداً عن الخصائص الفنية لهذا النص الأخاذ و بعيداً عن تمثلاته البلاغية و أدبيته السامية، بعيداً عن كل هذا و ذلك فإن هذا الافتراض يتم في مضمونه الرائي على طهارة نفس الداعي و عظمته الروحية و معرفته العميقة بربه و بالتالي تذللته أمامه.

أسلوب التقسيم

حسن التقسيم أسلوب قولي رفيع له جمالياته الفنية، و قد أخصب الأئمة (ع) به أدب الدين و الدنيا كما نلاحظ في الرواية التالية: عن زرارة بن أوفى قال: دخلت على علي بن

١. ليل الخشب.

٢. حد الحفن.

٣. تنفخ.

٤. جنبها و حنبرها.

٥. بكيت عالياً.

٦. نخرج صوتي من حدقتيها.

الحسين (ع) فقال: «يا زارة! الناس في زماننا على ست طبقات: أسدٌ و ذئبٌ و ثعلبٌ، و كلبٌ، و خنزيرٌ و شاة.

فأما الأسد، فملوك الدنيا، يحب كل واحدٍ منهم أن يغلب و لا يُغلب.

و أما الذئب، فتجاركم يذمّون إذا اشتروا، و يمدحون إذا باعوا.

و أما الثعلب، فهؤلاء الذين يأكلون بأديانهم، و لا يكون في قلوبهم ما يصفون بالسنتهم.

و أما الكلب يهزأ على الناس بلسانه و يكرهه الناس من شر لسانه.

أما الخنزير، فهؤلاء المخنثون^٢ و أشباههم، لا يدعون نأى فاحشة إلا أجابوا.

و أما الشاة فالذين تُجزّ شعورهم، و يؤكل لحومهم و يُكسر عظمهم.

فكيف تصنع الشاة بين أسدٍ و ذئبٍ و ثعلبٍ و كلبٍ و خنزيرٍ؟ (الشيخ الصدوق، لا. تا: ج

١، ص ١٦٥)

قسّم (ع) الطبقات الاجتماعية الموجودة في تلك الفترة الى ستّ طبقات مشبهاً كل طبقةٍ بحيوانٍ له صفة معروفة، فالأسد رمز القوة و الصراع لأجل السلطة، و الذئب رمز الاستغلال المادي، و الثعلب رمز الخداع و التضليل، و الكلب رمز الايذاء، و الخنزير رمز من يلهث وراء الشهوات، و الشاة رمز الطبقة المستضعفة التي لا حول لها و لا قوة و هي تعاني مرارة الحياة الناجمة عن السلوك الخاطي للخمسة الاخرين. هذا من ناحية الشكل الفني لهذا الأسلوب؛ أما فيما يتعلق بالمضمون الثري لهذا النص، فيمكن القول أنه تم فيه نقد المجتمع و سلوك أصحاب المناصب فيه نقداً لا ذعاً عبر تشبيه كل واحدٍ منهم بحيوان تغلب عليه طبيعة معينة. فقد يرمي وراء ذلك الى ايقاظ الوعي لدى أبناء المجتمع، لينتبهوا الى ما هم فيه من الوضع المتردي و يستوعبوا الواقع الاجتماعي الذي يعيشونه، فاعطاء هذا الوعي يأتي ضمن مسؤولية الامام لأنه يحمل أعباء الامامة؛ و هذا هو أحد مصاديق الأدب الملتزم، حيث يستخدم الامام (ع) الفن لأغراض اجتماعية لا لمجرد انتاج أدبي يخلو من

القيم التربوية والأخلاقية؛ على أي فان النص يتضمن مضموناً اجتماعياً رائعاً يستخدم الإنسان في مسيرته التكاملية.

و من حسن التقسيم، قول الامام الصادق (ع) في مراتب القرآن الكريم، حيث قسم كتاب الله الى أربعة اشياء قائلاً: «كتاب الله - عز وجل - على أربعة اشياء، على العبارة و الاشارة و اللطائف و الحقائق» فالعبارة للعوام و الاشارة للخواص و اللطائف للأولياء و الحقائق للمأتبياء» (المجلس، ١٤٠٣، ج ٩٨، ص ١٠٦). لا شك أن القارىء يتعامل مع النص حسب ثقافته، و لأن المستويات العلمية مختلفة فالانطباعات أيضاً مختلفة تبعاً لذلك فما يفهم العامي عن النص غير ما يفهمه العالم منه، و ما يلحظه الولي غير ما يعيه النبي و هكذا، فالتقسيم لثني و علمي معاً يستخدم ثقافة من يقرأ القرآن و يستبطن منه.

أسلوب الأيجاز والاضطراب

من المعروف أن الأيجاز أو الاقتصاد اللغوي هو سمة لغة الضاد و من المعروف أيضاً أن فرسان هذا المضمار، هم الأئمة (ع) و آية ذلك، التراث الروائي الاسلامي الحافل بكم لا يحصى من الحكم والأقوال و الأمثال الموجزة، أتحدثنا بها الأئمة (ع) و قد شهد على قوة تلك الحكم و جمالها كثير من العلماء منهم الجاحظ الذي يقول في كتابه البيان و التبيين عن قول موجز لعلي بن أبي طالب (ع): «قال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه: «قيمة كل انسان ما يحسنه، فلو لم تلق من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية، و مجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية، و غير منقصة عن الغاية» (الكليسي، ١٤١٣، ب، ج ٢، ص ٥٩٩) وثمة - كما قلنا - عديدٌ من الأقوال الموجزة جرت على أسن الأئمة (ع) منها العبارة الموجزة المكثفة الدلالة التي قالها الامام الصادق (ع) واصفاً القرآن الكريم: «القرآن أتيق^١ و باطنه عميق» (نهج البلاغة، باب الرسائل، الرسالة ١٤، فقد

أوجز الامام (ع) عظمة القرآن في جمال شكله وقوة مضمونه بعبارة شائقة وافية بالمعنى. و من الاقتصاد اللغوي ما وصف به الامام علي (ع) النساء. حيث قال: «فأنهنَّ ضعيفات القوى و الأنفس و العقول» (البستاني، لا.تا: ١١٤) يحلل الأستاذ محمود البستاني هذه العبارة و يقول: «... لا يمكن تحليل شخصية المرأة أآ من خلال سماتها الثلاث (الجسم، النفس، والعقل) بحيث اذا اقتصر على احدى السمات أو الاثنتين، يظل التحليل ناقصاً، نظراً لضعفهنَّ الجسمي و لعدم النضج النفسي، و لعدم الاكتمال العقلي، فهذه السمات الثلاث هي استقطاب لكل سمات المرأة، يضاف الى ذلك، أنه لا يمكن استقطاب السمات السلبية جميعاً أآ من خلال كلمة واحدة هي: «ضعيفات»: لأنها تلخّص جميع التفاصيل المرتبطة بحالاتها الجسمية و حالاتها النفسية و حالاتها العقلية و هي حالات تتطلب كتابة عشرات الصفحات لتوضيح الضعف لديهنَّ بينا اقتصد الامام في التعبير و جعله مضغوطاً في عبارة «الضعف» و عبارة: الأنفس و العقول و القوى». (المجلسي، ١٤٠٣، ج ٣، ص ٤١) .

أسلوب الاستفهام

تتسم أقوال الأئمة بالموضوعية و الواقعية و هي تنسجم في نفس الوقت مع مقتضى الحال و المقام، حيث يتطلب المقام استخدام أسلوب دون آخر، و من جملة هذه الأساليب أسلوب الاستفهام، فقد عبّروا به عن مقاصدهم باختصار و ايجاز كما نلاحظ في الخبر التالي: «سئل الصادق (ع) عن الله فقال للسائل: يا عبد الله! هل ركبت سفينة قط؟

قال: بلى!

قال (ع): هل كسر بك حيث لا سفينة تُنجيك و لا سباحة تُغنيك؟

قال: بلى!

قال (ع): فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء، قادراً على أن يخلصك من

ورطتك؟

قال: بلى!

قال (ع): فذلك الشيء، هو القادر على الاتجاؤ حين لا منجى و على الاغاثة حيث لا مغيث!». (نفس المصدر، ج ٧٢، ص ٣٢٢)

و هكذا يستثمر الامام الصادق (ع) طريقة فنية رائعة لا يصل الطالب الي المقصود في معرفة التوحيد و ليؤكد أن هناك الهاً يحكم العالم و يديره، و هذه الطريقة (أسلوب الاستفهام) هو الذي يجعل المخاطب مشاركاً في الفكرة.

أسلوب التهميم

التهميم مستوى من مستويات التعبير و هو في مصطلح علماء البيان عبارة عن اخراج الكلام على ضد مقتضى الحال استهزاءً بالمخاطب، و المصوغ الفني للتهميم هو ما تتطلبه طبيعة الموقف حيال المفارقات التي تصدر عن سلوك الانسان، و قد استعمل الأئمة (ع) هذا الأسلوب لأهداف تربوية كما نلاحظ في الحديث الآتي: «عن جميل قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله - عز وجل: «قُلْ أَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَمَّا إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ (ص) فَيُخْرِجْكُم مِّنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُّورٍ بِإِذْنِ اللَّهِ فَكُلُّكُمْ سَيُخْرِجُهُ اللَّهُ مِنَ ظُلُمَاتِهِ إِلَى نُورٍ أَوْ يَكُونُ لَكُمْ سَعْتٌ أَوْ تَحِبُّونَ» (المائدة: ٤٨)». (نفس المصدر، ج ١، ص ٣٣٩-٣٤٠) و هذا توجيه تربوي تم عبر تهكم ناعم.

و أحياناً يستثمر الامام (ع) أساليب الجملة لتعميق فكرة واحدة، كما نلاحظ مثلاً في مفهوم الكذب حيث يحذرون منه بمختلف الأساليب البلاغية نظراً لخطورة نفسه في المجتمع، و هنا هي بعض تلك الأساليب:

١. أسلوب الخبر الابتدائي: «سُرُّ الْقَوْلِ الْكُذِبُ». «أَعْظَمُ الْخَطَايَا عِنْدَ اللَّهِ اللُّسَانَ الْكُذُوبُ». «الْكَذِبُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ التَّفَاقُحِ». «الْكَذِبُ شَيْنٌ الْأَخْلَاقِ». (نفس المصدر)

٢. أسلوب النهي: «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ كُلَّ رَاحٍ طَالِبٌ وَكُلُّ خَائِفٍ هَارِبٌ». «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَكِلَاهُمَا فِي النَّارِ». «إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ». (نفس المصدر)
٣. أسلوب الخبر الطلبي: «أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَكْذِبُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ هَوَاهُ». «أَنَّ الْكَذِبَ خَرَابٌ الْإِيمَانِ». «أَنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ». (نفس المصدر)
٤. أسلوب الشرط: «إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَبَاعَدَ الْمَلِكُ عَنْهُ مِثْلَ مَنْ تَنَّى مَا جَاءَ بِهِ». «إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ كِذْبَةً تَبَاعَدَ مِنْهُ الْمَلِكُ مَسِيرَةَ مِثْلِ مَنْ تَنَّى مَا جَاءَ بِهِ». «مَنْ كَذَبَ كَذِبَةً ذَهَبَ بِهَا». (نفس المصدر)
٥. أسلوب الأمر: «تَحَفَّظُوا مِنَ الْكَذِبِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَدْنَى الْأَخْلَاقِ قَدْرًا وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْفُحْشِ، وَضَرْبٌ مِنَ الدَّنَاءَةِ». «جَانِبُوا الْكَذِبَ، فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ». «اتَّقُوا الْكَذِبَ الصَّغِيرَ مِنْهُ وَالْكَبِيرَ، فِي كُلِّ جِدٍّ وَهَزَلٍ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَذَبَ فِي الصَّغِيرِ اجْتَرَأَ عَلَى الْكَبِيرِ». (نفس المصدر)
٦. أسلوب النفي: «لَا شَيْعَةَ أَقْبَحُ مِنَ الْكَذِبِ». «لَا سُوءَ أَسْوَأَ مِنَ الْكَذِبِ». «لَا خَيْرَ فِي عِلْمِ الْكَذَّابِينَ». (نفس المصدر)
٧. أسلوب القصر: «يَطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا أَلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ». (نفس المصدر)
٨. أسلوب الاستدلال: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَذَبَ فِي الصَّغِيرِ اجْتَرَأَ عَلَى الْكَبِيرِ». بعد قوله: «اتَّقُوا الْكَذِبَ الصَّغِيرَ مِنْهُ وَالْكَبِيرَ، فِي كُلِّ جِدٍّ وَهَزَلٍ». (نفس المصدر) فإنه يستدل بالأول على الثاني.
٩. أسلوب الحوار: «عَنْ حَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) يَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟
- نعم!
- فَيَكُونُ كَذَّابًا.

«لا، ولا خائناً»

ثم قال: يُجيب المؤمن على كُلِّ طَبِيعَةٍ أَلَا الْحَيَاةَ وَالْكَذِبَةَ. (نفس المصدر)

١٠. أسلوب التصوير الاستعاري: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، جَعَلَ لِلشَّرِّ أَقْفَالًا وَ جَعَلَ مِفْتَاحَ بِلْدَانِ الْأَقْفَالِ الشَّرِّ، وَ الْكَذِبِ شَرٌّ مِنَ الشَّرِّ». «جُعِلَتِ الْحَبَابَاتُ فِي بَيْتٍ وَ جُعِلَ مِفْتَاحُهُ الْكَذِبُ». (نفس المصدر)

١١. أسلوب الفرضي: «إِنَّ عَلِيًّا (ع) كَانَ يَقُولُ: لَأَنْ يَخْطِفَنِي الطَّيْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) مَا لَمْ يَقُلْ». (نفس المصدر)

١٢. أسلوب التكرار للتوكيد: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، يُضْحِكُ بِهِ الْقَوْمَ، وَيَلُ لَّهُ، وَيَلُ لَهُ». (نفس المصدر)

١٣. أسلوب الدعاء: نفس الحديث السابق، باعتبار دعاء يدعو على من يكذب فسقوله (ع): «وَيْلٌ...» دعاء على الكاذب لا تارته أعجاب الآخرين واضحا كهم.

١٤. أسلوب التقديم والتأخير: «أَقْلُ النَّاسِ سُرُورَةً مَنْ كَانَ كَذَابًا». «قَسَادُ الْبِنَاءِ الْكَذِبُ». (نفس المصدر)

فلاحظنا كيف أن المعصومين (ع) يحذرون من هذا الخلق المشين بأساليب شتى لكل منها جمالتها، ولا غرو في ذلك لأن الحال و المقام ظاهرتان ينبغي أخذهما بعين الاعتبار عند إرسال الكلام، وهذا الوعي منهم يتم عن بلاغتهم.

المصادر و المراجع

الصحيفة السجادية.

نهج البلاغة.

البيستاني، محمود. البلاغة في ضوء المنهج الإسلامي. إيران - مشهد: مجمع البحوث الإسلامية.

العصر العباسي، محمد بن الحسن. ١٤١٢ هـ ق. وسائل الشريعة. طبع ٤ بيروت:

دار الأحياء التراث العربي.

- الشيخ الصدوق. الخصال. قم: منشورات جامعة المدرسين.
- الكليني، محمد بن يعقوب. ١٤١٣ هـ. ق (أ). فروع الكافي. بيروت: منشورات دارالاضواء.
- _____ . ١٤١٣ هـ. ق. (ب). اصول الكافي. بيروت: منشورات دارالاضواء.
- المجلسي، محمد باقر. ١٤٥٣ هـ. ق. بحار الانوار. طبع ٢. بيروت: دار الاحياء التراث العربي.
- المحمدي الري شهري، محمد. ميزان الحكمة. مكتبة الاعلام الاسلامي.